العدد ثلاث وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – أيار – 2022م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"أثر المذهب الشيعي الإيراني في الحكم السياسي لحركة أنصار الله الحوثية في اليمن خلال الفترة من (2004م –2019م)"

إعداد الباحث:

عصام احمد الخليدي

طالب دكتوراه علوم سياسية – جامعة مؤتة – الأردن

المقدمة:

"الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل" هي ترجمة لشعار تردد بمفردات فارسية في ساحات ومساجد إيران منذ قيام ثورتها الإسلامية في عام 1979م والتي نشبت بمشاركة فئات مختلفة من الناس وحولت إيران من نظام ملكي تحت حكم الشاه محمد رضا بهلوي الذي كان مدعوما من الولايات المتحدة الامريكية واستبدلته في نهاية المطاف بالجمهورية الإسلامية عن طريق الاستفتاء في ظل المرجع الديني اية الله روح الله الخميني، ثورة حظيت بالمباركة اليمنية آنذاك بعد ستة عشر عاما من قيام الثورة اليمنية ضد الحكم الامامي في 1962م.

ولهذا تعد إيران من أكثر الدول إثارة للجدل في منطقة الشرق الأوسط، نظراً للتصور الموجود حول تأثيرها، وكذلك التطورات السياسية التي شهدتها منذ القرن السادس عشر، خصوصا بعد ظهور هوية دينية مذهبية لها متمايزة عن بقية العالم الإسلامي ,,و يرى الكثير من اليمنيين وغيرهم ان ايران تدعم الحركة الحوثية في اليمن ,,دعم ظاهره الغطاء الديني المذهبي وباطنه دعم سياسي عسكري، لهذا تناول هذا البحث أثر المذهبي الشيعي الإيراني في الحكم السياسي لحركة أنصار الله الحوثية في اليمن من عام 2004م حتى عام كون بداية المواجهات المسلحة بين الحوثيين والحكومة اليمنية كانت في عام 2004م بقيادة حسين بدر الدين الحوثي وبداية توطيد العلاقات بين ايران والحوثيين مما اثر على الشكل التنظيمي للتيار العسكري للحركة مدموجة بالدين والحفاظ عليه حسب شعاراتهم ,,مرتبطا بالدعم المادي والمعنوي من ايران للحركة الحوثية.

أولا/ أهمية الدراسة:

***الأهمية النظرية :**تتضح أهمية الدراسة من الناحية النظرية حيث أن هناك العديد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع على فترات متباعدة كما انها تنحاز لآراء كتابها وبعيدة كل البعد عن منطق البحث المتزن، بالإضافة إلى

وجود العديد من المصادر المتنوعة التي تناولت هذا الموضوع سواء كانت دوريات، مجلات، كتب، والعديد من المقالات لكن بأجزاء متفرقة.

***الأهمية العملية** :تكمن أهمية الدراسة من الناحية العملية حيث أنها تحاول معرفة أثر المذهبي الشيعي الإيراني في الحكم السياسي لحركة أنصار الله الحوثية في اليمن ومعرفة ذلك الأثر على أرض الواقع، ومعرفة أليات ومحددات هذه السياسة.

ثانياً/ مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تكمن مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي حول كيفية التعرف على المذهب الشيعي الإيراني وانتشاره في بعض المحافظات اليمنية وعلاقة ذلك بالشؤون اليمنية والتدخلات السياسية فيها بحجة الغطاء الديني، بالإضافة الى ما 0.سعت إيران لتحقيقه خلال الفترة من 2004م حتى 2018م في ظل استغلالها للعوامل السياسية والاقتصادية وفي ظل تراجع الانقسام السياسي الحاصل في اليمن، في ضوء ذلك تتناول هذه الجزئية من الدراسة ونجيب عن السؤال البحثي الافتراضي، وهو:

ما هو أثر المذهبية الشيعية الإيرانية في الحكم السياسي لحركة أنصار الله الحوثية في اليمن؟

ثالثاً/ الإطار الزمني والمكاني للدراسة:

الإطار الزمني للدراسة: يتحدد الإطار الزمني للدراسة في الفترة من عام 2004م الذي يعد نقطة مهمه في بداية تمدد النفوذ الإيراني الشيعي وتوغله في محافظات يمنية منها صعدة خصوصا بعد المواجهات المسلحة بين الحوثيين والحكومة اليمنية عام 2004م بقيادة حسين بدر الدين الحوثي مرورا بمجموعة من التطورات على ارض الواقع حتى الفترة الحالية.

الإطار المكاني: تختص هذه الجزئية من الدراسة بالجمهورية اليمنية تحديدا في مناطق انطلاق الحركة الحوثية كمحافظة صعدة واستقرارها وحكم المناطق الخاضعة لسيطرتها من عاصمة اليمن صنعاء.

رابعاً/ مفاهيم الدراسة:

المذهب الشيعي الإيراني: لفظ شيعة في الأساس من الفعل تشيع وهو الاتباع. وعلى مدار التاريخ الإسلامي أطلق لفظ شيعة على العديد من الحركات الإسلامية المجموعات مثل شيعة عثمان وشيعة معاوية وغيرهم ولكن لفظة الشيعة وحدها تعتبر علما لشيعة على متبعيه وتتبع إيران المذهب الشيعي المسمى (الإمام الاثني عشر)، والذي زاد الوعي الذاتي للقومية الإيرانية، لذلك يعد المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للدولة الإيرانية

حركة أنصار الله الحوثية: حركة سياسية دينية مسلحة تتخذ من صعدة شمال اليمن مركزا رئيسيا لها وعرفت بالإعلام باسم الحوثيين نسبة إلى مؤسسها بدر الدين الحوثي بينما كانت تعرف سابقا بحركة الشباب المؤمن ويقدون انفسهم على أنهم لب الزيدية وممثليها الرسميين في اليمن .

خامساً/منهج الدراسة: حتى نقوم بدراسة أثر المذهبية التي تتمثل في الفكر الشيعي لإيران على سياسة الحكم الحوثية فإننا سوف نستخدم اقتراب تحليل النظم لصاحبه ديفيد إيستون كونه من أكثر الأطر الفكرية استخداما في النشاط السياسي والديني، الداخلي والخارجي.

سابعاً/تقسيم الدراسة: تنقسم الدراسة الى مبحثين كل مبحثين يحتوي على مطلبين كالتالي:

المبحث الأول: مفهوم الفكر الشيعي وأثره في تطور العلاقات الحوثية الايرانية

المطلب الأول: المذهب الشيعي الايراني

العدد ثلاث وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – أيار – 2022م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

المطلب الثاني: مراحل تطور العلاقات الحوثية الإيرانية

المبحث الثاني: الحوثيون بين السياسة والدين

المطلب الأول: المشروع الحوثي بين السياسةوالدين

المطلب الثاني: أثر التشيع المذهبي في الحكم السياسي للحوثيين

ويأمل الباحث من خلال دراسة هذه الجزئية ان يصل الى نتائج تفيد في تطوير الدراسات السابقة تحلل الواقع الحالي جملة وتفصيلا، فإن وفقنا فمن الله وإن خطأنا فمن أنفسنا، والله ولي التوفيق

المبحث الأول: مفهوم الفكر الشيعي وأثره في تطور العلاقات الحوثية الايرانية

يجدر بنا في مقدمة هذا المبحث الى الإشارة بأنه و'' بحدود القرن العاشر الهجري كانت إيران عكس أيامنا هذه تماما كانت ذات أغلبية سنية مع وجود أقلية شيعية، تنحصر أساسا في مدن قم وقاشان ونيسابور، هذه الدولة التي اعتنقت على غرار كثير مما جاورها من الدول عقيدة السنة والجماعة قدمت قبل هذا التاريخ عددا من العلماء والفقهاء والمفسرين والمحدثين حتى قبل ان السواد الأعظم من علماء السنة كانوا فرسا (1)ثم وبتحويل'' الصفويين من المذهب السني إلى الشيعي جعل إيران المعقل الرئيسي للشيعة'' (2).

المطلب الأول: **المذهب الشيعي الإيراني**

المذهب لغة: من ذهب، يقال: ذهب ذهاباً وذهوباً ومذهباً ، أي: مرّ، والمذهب أيضاً : المعتقد الذي يذهب إليه صاحبه(3) اما المعنى الاصطلاحي للمذهب فهي مجموعة من الأفكار والآراء التي يراها او يعتقدها انسان ما حول عدد من القضايا العلمية والسلوكية (4) ومن المرجحِ أن العلاقاتِ بين الشيعة وإيران، لم تبدأ بشكلٍ مباشر في زمن

الرسول أو خلفائه الراشدين، مع ذلك استطاعت المخيلةُ الشيعيةُ أن تربطَ نفسها ببلادِ فارس من خلال شخصيتَين مهمتَين. أولهما، الصحابي سلمان الفارسي، أحدُ كبارِ الصحابة، الذي تتفق المصادرُ الشيعيةُ مع مثيلاتها السنية، على عظمِ مكانته وتأثيره في دعم الإسلامِ وتأييده في المرحلةِ المبكرة، بالإضافة الى شهربانوا بنت يزدجرد كسرى فارس، إحدى الشخصياتِ المؤثرةِ في تأكيد قِدمِ الارتباط الفارسي بالتشيع. بحسب ما تذكر الكثيرُ من المصادر، منها "الإرشاد إلى معرفة حجج الله على العباد" للشيخ المفيد ولذا فإن أحد أهم العوامل التي ساهمت في ربطِ إيرانَ بالتشيّع، أنها كانت ملاذاً ومستقراً لمجموعةٍ من الشخصيات العلوية البارزة، تلك التي لجأت إليها واتخذت منها وطناً، فتجمعتْ حولها حلقاتُ الشيعةِ ومحبي آل البيت ورغم ان ايران كانت سنية حسب ما اشرنا سابقا الا انه '' تؤكد بعض الكتابات التاريخية أن الشاه اسماعيل الصفوي، بوصوله إلى الحكم عام 907 للهجرة، 1502 للميلاد، أجبر أهل السنة على التشيع، كما أشاع المذهب الشيعي بإيران، كنوع لكن السؤال الذي يطرح نفسه: **ماهي فوارق فكر المذهب الشيعي الإيراني عن فكر المذاهب الشيعية الأخرى؟**

يتميز النظام الإيراني بفكره الخاص بوجود مؤسسة تسمى الولي الفقيه أو ما يسمى المرشد الأعلى ''كما وضعها الإمام الخميني بعد الثورة الإيرانية والاستفتاء على إقامة الجمهورية الإسلامية ووضحها في كتابه الحكومة الإسلامية, حيث تعتبر من المؤسسات الأساسية التي خولها الدستور الإيراني صلاحيات واسعة''(6) ,''ولقد كانت نظرية الولي الفقيه هي النظرية التي ميزت إيران عن بقية العالم الإسلامي حيث رأت أن هذه النظرية بأنها القادرة على حل مشاكل العالم الإسلامي'' (7),

ولهذا ووفقا لمعطيات الواقع فإنه يرى كثير من المنظّرين والإعلاميين والباحثين أن الشيعة عموما يتحركون بشكل متناغم مع السياسة الإيرانية، ويستجيبون لأهداف هذه السياسة أكثر من استجابتهم لسياسات الدول التي يسكنون فيها كون ايران تحتوي الأغلبية الكبرى من المعتنقين للمذهب الشيعي بالإضافة الى دعمها الأقليات الشيعية في مختلف

الدول كما تمكنت إيران من تفكيك الولاء الضعيف بالأساس للشيعة العرب –مثلهم مثل بقية الناس– نحو دولهم وانتمائهم القومي/ الوطني وإعادة توجيهه نحو ولاء للجمهورية الإسلامية الإيرانية عموماً ونحو ولي الفقيه خصوصاً، لدرجة صار معظم الشيعة العرب يتفاخرون بولائهم لإيران أكثر من بلدانهم، وينفذون أجندات إيران الطامحة لنفوذ إقليمي كبير يعزز مصالحها القومية أولاً تحت غطاء إسلامي شيعي شرطه الأول العداء للأخرين، وذلك من خلال الانخراط في الأحزاب الجماعات الطائفية، والتبني الصريح لقيادة الولي الفقيه,, أيران درست التاريخ دراسة متعمقة، فوصلت لنتيجة مفادها ان الاحتلال المباشر للدول يسقط لا محالة فكانت خطتها واستراتيجيتها هي في:

–تبني المذهب الشيعي الاثني عشري كأساس للدول ظاهريا ووضع مبدأ ولاية الفقيه كأساس للمذهب فقيها وسياسيا.

–استمالة بعض الشيعة العرب والمسلمين وتبني قضاياهم إعلاميا وتدريبهم عسكريا وجمعهم في مليشيات تحت قيادة لواء القدس الإيراني.

لذا اندمج المذهب الشيعي الإيراني المسيس بفكر المذاهب الشيعية الأخرى ليحصل على تأييدها واستمالتها ضمن نصرة الدين والمظلومين في كل بقاع الأرض فكان الفكر الديني الشيعي الإيراني ظاهرا للعيان وباطنه احكام السيطرة السياسية على الدول التي توافق رأي المذهب الشيعي وتعتنق أفكاره رغم اختلاف مبادئها بين الاثني عشرية الزيدية والاسماعيلية وغيرها '' ومما هو جدير بالذكر أن نظرية ولاية الفقيه لاقت مؤيدين كثيرين في ايران سواء من المتشددين او الشيعيين الذين شغلوا منصب مجلس الخبراء الاول الذي صاغ اول دستور للثورة ,اذ قدمت الثورة نموذجا لإمكانية تعبئة الشيعة والاقليات بصفة عامة في المنطقة واعتبرت الثورة الايرانية نفسها مسؤولة عن حماية الشيعة في الخليج والدول العربية .(8)

من رد الفعل على طغيان السنة الذين تمثلهم الدولة العثمانية.(5)''

المراجع والملاحظات:

1-كريم الهاني_ هكذا تحولت إيران من دولة سنية إلى دولة شيعية موقع مرايانا-13-12-2018م

2-البسيوني، خالد محمد) 2006 .(التحول العاصف في إيران .دار الأحمدي للنشر.

3-المعجم الوسيط (316/1)

4-الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص 10.

5-هكذا تحولت إيران من دولة سنية إلى دولة شيعية، المصدر نفسه

6-الولى الفقيه...الدور والصلاحيات، قسم البحوث والدراسات 2004م.

7-منصور حسن العتيبي، السياسة الإيرانية تجاه دول مجلس التعاون الخليجي (1979-2000,(رسالة ماجستير أ مركز الخليج للبحاث, ,دبي, الامارات العربية المتحدة ط,1,2008ص20-30.

8-كريم سجدبور، في فهم الإمام الخامنئي...رؤية قائد الثورة الإسلامية الإيرانية مؤسسة كارنيغى للسلام الدولي, ,2008ص12.

العدد ثلاث وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – أيار – 2022م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

المطلب الثاني: مراحل تطور العلاقات الحوثية الإيرانية

خلال أربعة عقود تلت قيام ثورة 26 أيلول (سبتمبر) 1962 التي أطاحت بسلطة بيت حميد الدين، آخر مظاهر الإمامة في اليمن , مرّت البلاد بمتغيّرات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، نتجت عنها تحوُّلات عميقة في الخريطة المذهبية للمجتمع اليمني، لا يُمْكن مِن دون العودة إليها فهْمُ السّياق الذي أسفر عن ظهور "جماعة الحوثي" بمحافظة "صعدة" في أوّل عامين مِن القرن الجاري وجاء الدّور الإيراني رسمياً وشعبياً في السّاحة اليمنية مِن البوابة الزيدية تحديداً، والحوثية بشكل أخص، وهو الذي أعطى للمستوى الذي وصلت إليه الحركة الحوثية عسكرياً وسياسياً واجتماعياً أهمّيته في الحسابات السّعودية، كسلاحٍ ترى الرّياض أنَّ نظام طهران هو المستفيد مِن توجيهه نحو خاصرتها, حيث أسفرت الاتصالات المبكرة بين طهران وبعض الأوساط الزيدية، وبخاصة بعض رموز المذهب الزيدي وطلائعه في صعدة وغيرها، عن مشاركة وفد ضمّ عدداً من شباب وعلماء المذهب الزيدي في احتفالات إيران بذكرى الثّورة في عام 1986، وجاءت هذه المشاركة تلبية لدعوة وجهتها لهم سفارة طهران في صنعاء حيث ''بدأت السفارة الإيرانية في الثمانينات بتقديم دعوات لشباب يمني لزيارة إيران والتعرّف على تجربة الثورة الإيرانية، واجتذبت بالفعل الكثير من الشباب الزيدي أبرزهم محمد عزان وعبدالكريم جدبان وحسين الحوثي مؤسّس الحركة الحوثية، وكذلك زارها بعض علماء الزيدية مثل بدر الدين الحوثي والد حسين المؤسّس وعبدالملك القائد الحالي للجماعة''**(1)**.

وعليه فإن علاقة جماعة الحوثي بإيران تكشّفت خيوطها شيئاً فشيئاً في ثمانينيات وتسعينات القرن الماضي، بدءاً من استقطاب قيادات الحركة ومناصريها وإرسالهم إلى قم الإيرانية للتعليم الديني، مروراً بالدعم العسكري والمالي للجماعة المتمردة التي أرادت تحويلها إلى ذراع لها في جنوب الجزيرة العربية والسيطرة على مضيق باب المندب أحد أهم ممرات الملاحة في العالم

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد ثلاث وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – أيار – 2022م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ولهذا '' تشكلت النواة الأولى لجماعة أنصار الله الحوثي عام 1992، على يد حسين الحوثي المؤسس الأول لجماعة الحوثيين الذي تأثر بإيران وبالخميني وبالثورة التي قادها في إيران عام 1979، ولم تخل محاضراته وخطبه من ذكر الخميني، إذ كان يرى فيه القدوة التي يجب اتباعها، فنقل هذه التجربة إلى اليمن، وحشد أتباعًا من حوله، وكسب ولاءهم وأحياء المناسبات الدينية الشيعية الجعفرية، ثم بدأ تأسيس مجموعة شبابية أطلق عليها اسم «منتدى الشباب المؤمن» والتي أكمل تأسيسها كل من محمد عزان ومحمد بدر الدين الحوثي'' (2) , ''ثم عمدت قيادات جماعة الحوثي إلى تبادل الزيارات بين صعدة وطهران وبالتحديد إلى مدينة «قم» حيث استقبلت المدينة عددًا وفيرًا من الشباب دعاة الفكر الإمامي، إيذاناً ببدء النشاط العلني للتنظيم، ومع هذا النشاط عاد بدر الدين الحوثي من «قم» إلى «صعدة»، وتولى افتتاح الحوزات العلمية، لنشر الفكر الأمامي وتجنيد الاتباع، كما تم تأسيس حزب «الحق» ليكون واجهة التنظيم السياسية الذي تمكن فيما بعد من الحصول على مقعدين بمجلس النواب اليمني حصدهما كل من حسين بدر الدين الحوثي وعبد الله الرزامي، كممثلين للحزب عن محافظة صعدة'' (3)ومع مرور الوقت مثلت الفترة بين 1994م وحتى 2004م، مرحلة مفصلية للحضور الإيراني، حيث كانت العلاقات اليمنية الإيرانية على مستوى جيد، تمكن الإيرانيون خلالها من التبشير المذهبي بشكل كبير، بواسطة كوادر شيعية عراقية من أعضاء حزب الدعوة العراقي، ممن كانوا مقيمين في اليمن تحت ذريعة النزوح جراء الحصار الأممي المضروب على العراق حينها ,'' وكان ذلك التبشير على محورين؛ الأول التبشير بالاثني عشرية، وكانت نتائجه غير مشجعة، فيما المحور الثاني وهو الأهم وذلك بإقامة علاقة جيدة مع رموز الزيدية الشيعية، التي أثمرت بعد ذلك ما بات يعرف بالظاهرة الحوثية ''(4)ومع الحروب الستة بين الجيش اليمني والجماعات الحوثية بين عامي 2004و2010م كانت ايران هي الداعمة المالية والمعنوية للحوثيين الذين كانوا ينفرون في بداية الامر من اطلاق هذا المصطلح عليهم كونه يشير لانتمائهم لشخص حسين الحوثي بينما كانوا يفضلون مصطلح انصار الله وازداد الامر سرعة في مسار هذه الجماعة بالتحول الكبير الذي طورشأن هذه

العدد ثلاث وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – أيار – 2022م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الجماعة من وضع محلي داخلي يمني بحت إلى شأن إقليمي ودولي يتعاظم كل يوم بفعل ديناميكيات هذه الحركة واستراتيجية الممول والمحرك لها ممثلاً بإيران وذلك بعد الاحداث المتسارعة منذ انضمام الجماعة لأحداث ثورة الحادي عشر من فبراير 2011م تواصلا بتحالفها مع الرئيس السابق لليمن علي عبدالله صالح العدو الأول له منذ سنوات سابقة ,ثم انقلابها على هذا التحالف الذي انتهى بمقتل صالح على أيديهم في الرابع من ديسمبر 2017م ,,وامتلاكهم زمام الحكم في المحافظات التي يسيطرون عليها في اليمن كل هذه الاحداث المتسارعة على مستوى الشأنين الداخلي والخارجي كانت تحت الاشراف النظام الإيراني ممثلا بقياداته الدينية والعسكرية واجندة الوصل في قيادات حزب الله اللبناني'' وتمثلت ذروة هذا الدعم خلال الانقلاب على الشرعية، حيث لم يجد الحوثيون حرجاً في كشف علاقاتهم بإيران التي تحولت إلى شريك استراتيجي، فهبطت الطائرات الإيرانية في مطار صنعاء محملة بعناصر الحرس الثوري، إضافة إلى مواد وتكنولوجيا عسكرية '' (5) خصوصا بعد ان شنت قوات التحالف العربي هجماتها العسكرية على اليمن بحجة القضاء على الحوثيين الخطر الأكبر دينيا واقتصاديا وسياسيا على دول المنطقة .

هذه العوامل المتسلسلة منذ عشرات السنوات جعلت العلاقات الإيرانية الحوثية في تواصل واستمرار يوما بعد اخر بدءا من الدوافع المذهبية حيث'' وصل إلى حد تحول المذاهب من «الزيدية» الذي كان معتقد كل أنصار الحوثي إلى المذهب الجعفري الاثني عشري، بعد أن توثقت علاقة زعيم الحركة بإيران بشكل كبير، وما أن آمنوا بالمذهب الداخل الجديد على اليمن، حتى كفروا بكل القيم السياسية الأخرى' (6) مرورا بدوافع توسعية لطموحات إيران وتصدير فكرها الشيعي للسيطرة السياسية على البلد ''من خلال محاولاتها الجادة بسط نفوذها وأذرعها العسكرية وميليشياتها المسلحة في دول الشرق الأوسط كافة بداية من الحشد الشعبي في العراق، مرورًا بحزب الله في لبنان، وصولًا إلى حركة حماس والجهاد في فلسطين، حتى الحوثيين في اليمن، لتشكل بذلك طهران شبكة عنكبوتية من الأذرع المسلحة في الدول

المحيطة بها لتنفيذ مخططاتها التوسعية من خلال نشر أفكارها الشيعية في كل دول المنطقة ''(7)كغطاء لحلم السيطرة العسكرية والسياسية لهذه البلدان وغيرها .

المراجع والملاحظات:

1- الحوثيين وإيران: تحالفات الساسة وتوترات المذهب، ميساء شجاع الدين ,2017م.

2- دوافع مساندة إيران للحوثيين في اليمن –محمد خيري – المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية _ 2019م

3- المصدر السابق نفسه

4- الحوثيون: الحقيقية العسكرية ومصادر الدعم مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات _2015م

5- كيف ومتى بدأت علاقة إيران بميليشيات الحوثي موقع العربيةالاخباري _2019م

6- دوافع مساندة إيران للحوثيين في اليمن، نفسه.

7- نفسه

العدد ثلاث وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – أيار – 2022م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

المبحث الثاني: الحوثيون بين السياسة والدين

في بداية هذا المبحث تجدر الإشارة الى انه قد ''برز الحوثيون تنظيميا على الساحة اليمنية في 1992 مع تأسيس نادي الشباب المؤمن، غير أن إرهاصات هذا المشروع بدأت منذ الثورة اليمنية في 1962 مرورا بالثورة الإيرانية، فسقوط نظام الإمامة لم يكن يعني اندثارها كفكرة لارتباطها بالعقائد الزيدية (1) وقد شكلت بذلك أرضية استند عليها الحوثيون، فهم ينتمون إلى تيارات إمامية في اليمن حاربت الثورة اليمنية في سبتمبر 1962 وما بعده بكل ما أوتيت من قوة، ولما رأت أنه لا قدرة لها على العودة باليمنيين إلى الوراء، عادت ولبست القبعة الجمهورية التي تخفي جماجم الأماميين (2)

المطلب الأول: المشروع الحوثي بين السياسةوالدين

منذ اندلاع المعركة التي تقودها العربية السعودية مع حلفائها في اليمن، برز نقاش قوي حول طبيعة الانتماء الديني والفكري لتنظيم "الحوثيين". فعلى الرغم من كون الأخير جزءا من الطائفة الزيدية في البلاد، إلا أن علاقته القوية مع إيران ومرجعياتها الدينية، وخلافاته مع علماء الزيدية، إضافة إلى الهوة الدينية التي خلقها مع التنظيمات السنية، جعلت الرأي العام اليمني والعربي ينقسم في تصنفيهم الديني والفكري.

كما ساهم انتشارهم، وتوسع دائرة أنشطتهم بفعل التسليح والتدريب العسكري الجيد، فضلا لاستقطابهم قبائل وعشائر زيدية، وتحالفهم مع كتائب الجيش الموالية للرئيس السابق علي عبد الله صالح، ليشمل بعد ذلك نفوذهم كل محافظات اليمن الشمالي، بعد أن كانت تفاعلاتهم الدينية والسياسية والاجتماعية منحصرة في محافظة صعدة شمال البلاد، إلى ضرورة تجديد البحث والمعرفة بطبيعة هذا التنظيم، وارتباطاته الفكرية الدينية والسياسية والعسكرية,, وعندما كان الحوثيون يخوضون القتال في حربهم الأولى ضد القوات الحكومية اليمنية، مطلع عام 2004، كانت جبهتم الداخلية تخوض حرباً

متقطعة مع رجل الدين الزيدي محمد عبد العظيم الحوثي الذي برز معارضاً قوياً للحركة الشيعية الصاعدة. وفي فترة من الفترات، عاد الرجل إلى المشهد اليمني، منطلقاً من خلافه مع الحوثيين حول احتكارهم للمذهب الزيدي، واستثماره سياسياً، وتبعيتهم لإيران، إيران التي غيرت في الفكر الشيعي حسب توجهات مصالحها السياسية كونها تربط بين الدين والسياسة في حكم البلد وهذا ما تأثر به الحوثيون وبشكل كبير. حيث اتسمت الحياة السياسية في إيران بالظاهرة الدينية ورجال الدين، ولقد أخذت هذه العلاقة أساسها منذ القدم في تاريخ الدولة الإيرانية، وبعد انتصار الثورة الإيرانية بدأت مرحلة جديدة في تاريخ إيران المعاصر، حيث أن هذه المرحلة قد حملت أبعاداً مذهبية ودينية واضحة أثرت هذه الأبعاد تأثيراً واضحاً في إقامة الدولة وأيضاً صياغة أليات الحكم ومؤسساته التي سيطرت عليها نظرية (ولاية الفقيه العامة) وذلك بعد نجاح الخميني(3) ونتيجة للرعونة التي يتعامل بها أنصار عبد الملك الحوثي، وبعد عمليات تنكيل بحق أنصار عبد العظيم، أصدر الأخير بيانًا من محافظة حجة طالب فيه ميليشيات عبد الملك بالكف عن التصرفات الرعناء وحصار قرى آل حميدان وقتل ما أسموها "النفس التي حرم الله"، ولوح بإعلان الجهاد وإطلاق الإشارة لجميع الأتباع في جميع القرى والمدن لملاحقة الحوثيين واجتثاثهم من البلاد.

وأمام هذه التطورات، دعا الداعية اليمني محمد عبد العظيم الحوثي جميع أتباعه وأنصاره للتدخل السريع وإنقاذ آل حميدان مما وصفه بـ"العدوان من الحوثيين"، وقال لهم إن الانقلابين الذين وصفهم بـ"المجرمين اللصوص السلاليين" يقصفون منازل أتباعه بالأسلحة الثقيلة، مما أدى لسقوط عدد من القتلى والجرحى ,,إن خلافات أبناء العم هذه تؤكد الخلاف الفكري أولا بين المذهب الشيعي الموجود في اليمن وبين المذهب الشيعي التابع لإيران والمتأثر به عبد الملك الحوثي ومن تبعه ولذا فإن '' التطورات زادت من الخلافات القائمة داخل الأسرة الحوثية أصلاً، إذ يعود الصراع بين أتباع عبد الملك الحوثي الموالين لإيران وجماعة محمد عبد العظيم الحوثي إلى عام 2004، إذ يرفض الأخير تبني

مشروع إيران ويصفهم بـ"الطغاة والمجرمين" (4) واختلاف الفكر المذهبي لأي جماعة حاكمة يؤدي بلا شك لاختلاف الحكم السياسي خصوصا اذا ما كانت تربط السياسة بالدين .

ان الاعتقاد بان التشيع مصدره إيران وانه امتد الى اليمن وانه هو نفس المذهب ونفس العقائد منذ زمن، هو تصور لا يمكنه تفسير وظيفة التشيع في إيران، وتمييزها عن وظيفة وعناصر ووسائل التشيع في اليمن، ان وظيفة التشيع في إيران ووسائله وسياساته وبعده التاريخي يختلف عن التشيع في اليمن الذي كان يمشي على احقيته الدينية المعروفة الا انه وبعد توطيد العلاقات الإيرانية بحسين بدر الدين الحوثي واخيه عبد الملك من بعده واتباعهما باعد كثير بين الفكرين الإيراني واليمني في المذهب الشيعي ..لأجل سياسة تطمح ايران تحقيقها في المنطق عن طريق استغلال الدين وبناء المشروع الحوثي الذي مهدت لظهوره ووصوله لموقع السلطة منذ سنوات طويلة .

غير ان الفوارق مع التشيع الايراني يخفيها التهديد الذي يحسه زعماء التشيع في اليمن من التحدي العروبي السني، وعدم تكامل جهاز ونظام سياسي محسوم وراسخ، لا في الماضي ولا اليوم حيث الحكم هو حكم الاحزاب الشيعية، وهو على ما يبدو لن يترسخ بالطريقة التي يريدها الحكام والزعماء الدينيين. كما ان خبرة إيران في تدعيم وترسيخ المذهب وتحويله الى وسيلة بيدها لنشر نفوذها تجعل المحاولات الاستقلالية للتشيع العربي ومنها في اليمن محدودة ومحلية الطابع.

لذا '' لم يكتف الخميني بتأجيج الصراع السني . الشيعي، بل وتسبب بانقسام الشيعة أنفسهم، كما تشير لورا هنسلمان. فبسبب عقيدته، أي ولاية الفقيه التي تدعو إلى تسلم رجال الدين مقاليد السلطة السياسية وتطبيقه لها، انقسم البيت الشيعي . لأول مرة . إلى حوزتين متناقضتين ومتنافستين: الحوزة العلمية الصامتة في النجف والحوزة الثورية والمسيسة في قم، (5) ولذا '' ومن الناحية الدينية، تعود بعض بذور الصراعات داخل المذهب الزيدي إلى التعصب القبلي في شمال اليمن وإلى دور حسين بدر الدين الحوثي، شقيق عبد الملك، في تغيير المذهب الزيدي إلى الاثني عشري بعد

عودته من إيران، إذ أسس الحركة الحوثية التي خاضت مع المجتمع اليمني صراعًا تحوّل إلى صراع مسلح قُتل خلاله حسين الحوثي''(6) مما يؤثر ذلك على الحكم السياسي لجماعة الحوثيين في المناطق الخاصة بنطاق حكمهم فارتباط الحوثيين ظاهريا بالدين مع ايران وباطنيا في سياسة حكم ايران لليمن يظهر كثيرا من الخفايا التي يبحثها الباحث في المطلب الثاني من هذا المبحث .

المراجع والملاحظات:

1–عادل الأحمدي، الزيدية السياسية. ولاية الإمام اليمنية تنسخ الولي الفقيه في إيران، يمن برس.

2–محمد جميح، الحوثيون وثورة الشباب، مأرب برس.

3–النظام السياسي في إيران: مؤسسات النظام وأليات الحكم والتفاعلات الداخلية، مركز سورية للبحوث والدراسات2014.،

4–مرتضى الشاذلي، معركة أولاد العم: عن حقيقة صراعات الدين والسياسة داخل البيت الحوثي ,,موقع بوست الالكتروني ,,أغسطس 2018م

5–التشيع الإيراني ب نكهته الفارسية السلطانية، موقع الحرة الالكتروني، يونيو,,2016م.

6–معركة أولاد العم: مصدر سابق

العدد ثلاث وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – أيار – 2022م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

المطلب الثاني: أثر التشيع المذهبي في الحكم السياسي للحوثيين

لا يقل الصراع بين جماعات الإسلام السياسي والتطرف المذهبي في اليمن من أجل الاستحواذ على المساجد حدّة عمّا يدور على الأرض من نزاع سياسي مسلح تحاول بعض الأطراف المحلية والإقليمية جاهدة جرّه إلى المربع الطائفي , ومنذ اجتياح جماعة الحوثيين للعاصمة اليمنية صنعاء، في أيلول/سبتمبر 2014، سعت الجماعة الشيعية المتحالفة مع إيران لفرض خطباء مولين لها في جميع المساجد الرئيسة التي كان يستحوذ عليها خصومهم السياسيين في حزب التجمع اليمني للإصلاح ذي المرجعية الدينية السنية, ومنذ ذلك الوقت اصبح الخطاب الديني انعكاسا للوضع السياسي والاجتماعي القائم في اليمن، ولا يلبي الرغبة ولا المقاصد الدينية المطلوبة، بل يلبي رغبات سياسية تريد الفئه الحاكمة نشرها بين أوساط المجتمع في مناطق سيطرتها ,, ولا شك أن الخطاب الديني تؤثر فيه السياسة وأجندة حزبية أو قبلية، لكن السواد الأعظم من الخطباء تحت سيطرة الدولة", والجدير بالذكر انه يوجد في اليمن أكثر من 75 ألف مسجد، حسب إحصائيات رسمية، يخضع أقل من 50 في المئة منها فقط لإشراف وزارة الأوقاف.

تحمل بعض الحركات السياسية من الصفات التي تجعلها صيغة لمشروع فوضى في الدولة التي تظهر فيها؛ ويحدث ذلك نتيجة لأيديولوجيتها، وبنيتها السياسية والتنظيمية، وآلية عملها، وعلاقتها بالقوى السياسية الأخرى، وغيرها من الأمور التي تحول دون أن تكون قادرة على العمل ضمن نظام تعددي ديمقراطي، وعدم امتلاكها الإمكانات الكافية للاستفراد بالحكم، وضعف مؤسسات الدولة وخصومها في احتوائها سياسياً أو عسكرياً'' وتعد الحركة الحوثية أنموذجاً صارخاً لهذا النوع من الحركات؛ فأيديولوجيتها، وسلوكها العسكري، وظروف نشأتها، وطريقة حصولها على السلطة، وعلاقاتها الخارجية، وطريقة تعاملها مع بقية مكونات المجتمع، وغيرها من الأمور؛ تمنعها من أن تتشارك مع غيرها العمل السياسي ضمن نظام تعددي ديمقراطي، كما أنها لا تملك من الإمكانات التي تمكنها من حكم كامل اليمن أو جزء رئيسٍ منه، وصعب –حتى كتابة هذه الورقة– احتواؤها من قبل مؤسسات الدولة وخصومها المحليين والخارجيين.

وقد أدى كل ذلك إلى أن تصبح الحركة مشروع فوضى لتفكيك الدولة اليمنية سياسياً واجتماعياً وفكرياً'' (1)'' ووفقا لذلك؛ يصبح المذهب الزيدي حركة معارضة لكل المذاهب الشيعية والسنية على السواء، فكونه يمنح الحكم للبطنين، فإنه بذلك يخالف المذهبين الشيعيين الرئيسين (الاثنا عشري والإسماعيلي) اللذين حصرا الإمامة في عدد محدود من الأشخاص ينتهي بإمام غائب كما يقول الاثنا عشري وبعض الإسماعيلية'' (2) وعليه اثر مذهبهم في طبيعة الحكم السياسي لليمن من خلال عدة أمور منها :

1–أن الحوثيون يرون جواز أن يكون رئيس/حاكم الدولة بمهامه الدنيوية/السياسية ليس هاشمياً، لكن الإمام يجب أن يكون هاشمياً حسب معتقدهم الديني، وهو من يحق له التوجيه الديني والسياسي للدولة، أي أن سلطاته أعلى من الحاكم السياسي. فجميع أعمالهم مستمدة من تاريخ الأئمة الرسيين(3)

2–في فترة من فترات حكمهم السياسي طرحت جماعة الحوثي على طاولة البرلمان مشروع تعديل قانون الزكاة وفرض "زكاة الخمس" لصالحها بشكل رسمي في مناطق نفوذها '' حيث أصدر، ما يُسمى برئيس المجلس السياسي الأعلى، مهدي المشاط، قرارا بشأن إنشاء الهيئة العامة للزكاة، والذي يهدف الى تخصيص 20 % من موارد الدولة لما يُسمى بالأسر الهاشمية، والتي تدعي انتسابها للرسول صلى الله عليه وسلم'' (4) ويعد هذا القرار بحسب مراقبين، من أخطر القرارات، إذا تشرعن لجماعة الحوثي اخذ الأموال من المجتمع اليمني ورجال الأعمال، فالقرار نافذ على الواقع منذ سيطرة الجماعة على حكم المناطق الخاضعة لها، لتتضخم ميزانيتها المالية على أنقاض الدولة وتعززها بضمان توريد– الخُمس– 20% من الزكاة وموارد الدولة، اضافة الى أن هذا القانون يكرس تقنين العنصرية، واصدار تشريع لها، بما يتعارض مع نصوص وأحكام ودستور الجمهورية اليمنية.

3–المضي قدما في نهجهم القائم على المغامرة، من خلال اعتماد خيار العمل العسكري، لإتمام السيطرة على باقي المناطق في البلاد، دون اعتبار لأي ردود فعل داخلية أو خارجية، ''في كل معارك الحوثيين التي انتهت بسيطرتهم على العاصمة صنعاء، في سبتمبر 2014م، ظل المبدأ الجهادي هو المرتكز الأساسي في العمليات العسكرية التي قامت بها الجماعة، وإن كان ثمة خطاب مراوغ على المستوى الإعلامي، فعلى مدى الحروب التي خاضتها مضى خطاب الجماعة في اتجاهين أساسيين: أحدهما –وهو الظاهر– اتسم بمنح الصراع طابعاً محلياً وآنياً (على سبيل المثال خلاف قبلي في حالة حاشد، مطالب أبناء المحافظة وإقالة المحافظ في حالة عمران، الجرعة في حالة صنعاء)، بينما كان الخطاب في وجهه الآخر يتركز حول فكرة الحرب ضد "التكفيريين"، وهو توصيف وسع من نطاقه الحوثيون ليشمل كل خصومهم تقريباً، فبعد سلفيي دماج، أطلقه الحوثيون على حزب التجمع اليمني للإصلاح، والقوى الموالية له، بينما استخدموا مصطلح "الدواعش"، كمصطلح شعبي موازٍ للتكفيريين، فأطلقوه على القوات الحكومية المنضوية تحت لواء الشرعية وكافة التشكيلات القتالية في ما يعرف بالمقاومة، وهي تشكيلات لا تخلو من الجماعات الدينية السنية الجهادية، لكن الحوثيين يطلقون هذه التسمية في تعميم واضح، يمنح صراعهم معها طابع الحرب الطائفية، وإعلامياً "الحرب ضد الإرهاب" كخطاب يلقى تعاطفاً عالميا''(5)

4–الدور الإيراني سيكون له هو الآخر تأثير على مستقبل اليمن، ومع أنه من المتوقع أن يستمر الموقف الإيراني داعما للحوثيين ومساندا لهم، إلا أن مستوى ذلك الدعم وحدوده من العوامل التي ستحدد المسار الذي ستتجه إليه التطورات في اليمن أيضاً، حيث سيعتمد نجاح أو فشل الحوثيين – جزئيا– على مستوى الدعم الذي ستقدمه لهم طهران، مما يسمح لإيران باستمرارية التدخل في شؤون الحكم الخاصة باليمن إذا ما ظل لحال على ماهو عليه.

اذن يتضح للباحث ان ارتكاز الرؤية الحوثية في الخطاب والممارسة والحكم السياسي قائم على فكرة كون أي عمل سياسي ينبغي أن يكون خارج مظلة أو أطر مبادئ مثل القومية أو الوطنية، بل في إطار الارتباط بالمذهب الشيعي المأخوذ نهجه ومبادئه من المذهب الشيعي الإيراني الاثني عشري.

المراجع والملاحظات:

1- عبد الناصر المودع، الحوثيون والتعددية، صعوبة الحكم والتعايش والأجواء، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ابريل 2018م.

2- نفسه

3- أحمد الطرس العرامي، الحوثيون بين السياسة والقبيلة والمذهب، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، سبتمبر ,,2019م.

4- الحوثيون يعلنون إقرار قانون الخُمُس في مناطق سيطرتهم رسميا، موقع الحكمة نت الالكتروني، مايو ,,2018م.

5- أحمد الطرس العرامي، مبدأ الجهاد لدى الحوثيين. قراءة في المعتقد والتمثلات (دراسة) ,,المخاء, موقع الكتروني,,نوفمبر ,,2019م.

الخاتمة:

يتضح من خلال ما سبق ومع دراسة بدايات العلاقات الحوثية الإيرانية خلال الفترة من 2004م الى 2019م مدى الترابط العميق بين المكانتين الإيرانية والحوثية كون الأخيرة تعد الابنة المطيعة للأولى واليد التي تنفذ بها طهران مطامعها السياسية في اليمن وذلك من خلال تعميق فكرة المذهب الشيعي الإيراني الاثني عشري في فكر الجماعات الحوثية واختلاف الأخيرة عن المذهب الزيدي المعروف في اليمن ,,إن خطاب الحوثيين لا يكاد يفترق عن الخطاب الشيعي الذي بدأ مع ثورة الخميني في إيران، إن موجهات الخطاب لدى جماعة الحوثي، ومن خلال محاضرات حسين بدر الدين الحوثي، تكاد تذكرنا بخطاب تيارات "الإسلام السياسي"، والذي ما لبث أن أصبح شعبياً، وقد غذته العديد من القنوات السياسية والفكرية، ويتمثل في القطيعة مع ما يعرف بالأخلاقيات العالمية المشتركة التي تجلت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أو في ظهور مؤسسات عالمية مثل الأمم المتحدة، ومجلس الأمن وغيرها والتي انضمت إليها الدول العربية والإسلامية، وتقبلتها الأنظمة، مع بقاء الإحساس بالظلم لدى المسلمين من كون هذه المؤسسات تعمل بازدواجية في المعايير، خصوصاً في ما يتعلق بقضية فلسطين,, وهو أحد المرتكزات الخطابية لدى جماعة الحوثي، بل إحدى الأيقونات التي تستدعيها الجماعة في خطب ود الجماهير، مثلها في ذلك مثل الخطاب الإيراني، وهو بطبيعة الحال إحدى المرجعيات المركزية للجماعة التي تربطها بواقع الحال السياسي في اليمن ..

ان الباحث ومن خلال بحثه في جزئية ارتباط الفكر الديني مع الحكم السياسي وجد ان جماعة الحوثي قد استمدت من إيران مرجعيتها الدينية والسياسية وظلت تحكم الدولة من خارجها، أي أن الجماعة تحافظ على بنيتها الحركية كجماعة، وليس على بنيتها (غير المؤسسية) كسلطة، وتدير الدولة من خلالها، ويتجلى هذا في ما يسمى بمنصب المشرف فقد عين الحوثيون مشرفين على الوزرات والمناطق والمديريات، في إطار سلسلة هرمية مستمدة من الطابع الحركي الديني للجماعة ومنصب المشرف مستحدَث من قبل الجماعة، تُعيِّن فيه شخصيات من بين الأكثر ولاءً لها، ويقوم فيه هذا

الشخص بالإشراف على مختلف البنى الاجتماعية والمؤسسية والحركية على مستوى المنطقة أو المؤسسة وهذا يطابق واقع الحال الديني والسياسي في ايران بالإضافة لمعظم التأثيرات الأخرى التي اوردها الباحث في مطالب البحث ,,فإن احسنا فمن الله وان اسأنا فمن انفسنا ..والحمد لله رب العالمين.